الدراسات العربية
في الاتحـــاد السوفياتي

سيدي معالي الرئيس ، سادتي حضرات أعضاء المجمع !

يسعدني جداً أن أحرز الشرف الرفيع بأن أُحيي هذا المجمع الجليل أجمل تحية . نحن مسرورون جداً إذ أُتيحت لنا فرصة الاتصال بهذه المؤسسة العلمية التي لها أثر ظاهر في الشعب العربي وثقافته الجليلة ، ونحن نعرف أنها قد لعبت دوراً هاماً في انبعاث حيويتكم الروحية والعقلية التي صنعت أمجادكم الأدبيـة وعبقريتكم الثقافية .

وقد أسدى هذا المجمع الكريم خدمة هامة في دراسة تاريخ لغتكم وآدابكم وماضيكم المجيد . وقد صدق حضرة الأمير جعفر الحسني ، الذي كان في السنة الماضية ضيفاً في بلادنا مع وفد المجمع العلمي العربي ، لما قال في إحدى مقالاته الرقيقة : إنه لا يمكن عزل المستقبل عن الماضي . « فالحاضر هو امتداد الماضي ، كما أن المستقبل هو وليد الحاضر . وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر . »

نحن نرى أيضاً أنه صعب علينا أن نفهم الحاضر بلا معرفة الماضي ، ولذلك ندأب على دراسة تاريخ بلادنا ولغاتنا وآدابنا . وقد اتضح لنا في مجرى هذه الدراسات أن معرفتنا للماضي لن تتم وتكتمل إنْ لم نطلع على ما انطوت عليه من أخبار بلادنا خزائنُ الكتب بلغات مختلفة وخصوصاً باللغة العربية .

ونظراً لذلك نحن ندرس تاريخ العرب وآدابهم ولا سيما اللغة العربية ، هذه اللغة الواسعة القوية التي كانت يوماً تعلّم أوربا ، والتي هي جديرة بأن تكون في الوقت الحاضر احدى اللغات العالمية الكبرى في الحضارة الراهنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن لدراسة اللغة العربية والحضارة العربية تقاليد قديمة في بلادنا . فثمة عدد كبير من شعوب بلادنا مثل شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ربطتها بالشعوب العربية منذ العصور القديمة روابط ثقافية وتاريخية وثيقة . وقد بقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات وغير ذلك من الآثار الثقافية ، لا بلغات بلادنا فحسب ، بل كذلك باللغة العربية .

وأقدم هذه الآثار يعود إلى القرن الأول الهجري ، فمنها مثلاً رسالة على الرق أرسلها صاحب صغد في طاجيكستان ديواشتي الى القائد العربي الكبير الأمير الجراح بن عبد الله سنة ٩٩ — ١٠٠ للهجرة ، أو مثلاً نقش عربي عثر عليه منذ أمد قريب على مقربة من تبليسي على حجر من أحجار الأميال يعود الى القرن الأول الهجري ، وقد كتب على الحجر (بسم الله الرحمن الرحيم ، ثلاثة أميال من تفليس) . هذا فضلاً عن الآثار الكثيرة العائدة الى مرحلة زمنية أقرب الينا .

إن كثيرين من ممثلي شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ساهموا في القرون الوسطى مساهمة كبيرة في إنشاء الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، القائمة على اللغة العربية . ومن هؤلاء مفكرون كبار كالخوارزمي والبيروني وابن سينا لا تفخر بهم الشعوب التي أنجبتهم وحسب ، بل تفخر بهم البشرية التقدمية كلها .

وقد بقيت التقاليد العربية في بلادنا حتى الآونة الأخيرة ، فقد كانت العربية اللغة الأدبية الوحيدة في شمال القفقاس طيلة فترة طويلة . لقد نشأت في شمال القفقاس تقاليد أدبية وآثار أدبية خاصة هي فرع من الآداب العربية فريدة في بابها .

ولا غرو أن يُظهِر العلماء في بلادنا منذ الزمن القديم اهتماماً خاصاً بدراسة هذه الآثار .

ففي أول القرن الثامن عشر (إذا ضربنا صفحاً عن المحاولات التي جرت قبل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا التاريخ في هذا الاتجاه) ابتدأ تدريس اللغة العربية في موسكو من قبل المستشرق ع . يا . كيهر المعروف في زمنه . وفي أواسط القرن الثامن عشر طبع القرآن في بطرسبرغ بحروف جرى صبها على أساس كتابة خطاط من كبار الخطاطين المسلمين في ذلك العهد ، وغدت فيما بعد أساساً لنماذج طبعات القرآن في قازان ، النماذج التي انتشرت سواء في روسيا أو في الغرب ، والتي شرع المسلمون في البلدان الأخرى يقلدونها في البدء في القرم وتركية ، ومن ثم في مصر والهند . وبعد هنيهة من الزمن شغلت اللغة العربية المكان اللائق بها في برامج الدراسات الشرقية في مختلف معاهد روسية ومدارسها .

وبعد صدور « النظام الجامعي » سنة ١٨٠٤ نشأت في خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبرغ وغيرها من المدن مراكز للدراسات الشرقية ، وجهت للغة العربية انتباهاً كبيراً . ونشأ بعد ذلك القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ ومعهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وغيرهما من المدارس ، التي لعبت دوراً كبيراً في تطور الدراسات العربية الروسية والعالمية .

ويعرف عالَم العلم أسماء العلماء الكبار : دورن وبولدريف وفريهن وغيرغاس وروزين وقوقوفتسوف وميدنيكوف وكريمسكي وكراتشكوفسكي وغيرهم .

وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى استمر العمل بدأب في المركزين القديمين : لينغراد وموسكو ، ونشأت عدا ذلك مراكز جديدة . لقد نشأت في لينغراد مدرسة جديدة للمستعربين ، على رأسها علامة بلادنا الكبير ، وأحد كبار المستعربين في العصر الراهن ، عضو المجمع العلمي العربي ، الأكاديمي إغناطيوس كراتشكوفسكي ، الذي كان ، يوماً ، مشهوراً في الشرق العربي باسم غنطوس الرومي .

وواصل العمل النشيط في موسكو العضو المراسل في المجمع العلمي العربي البروفيسور يابرتليس والبروفيسور خ . ق . بارانف والبروفيسور اي . ا . بيلايف والبروفيسور ب . م . غراندە والمدرسة المساعدة كلثوم نصر عوده واسيليفا (وهي عربية من الناصرة) وغيرهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ترأس الدراسات العربية في كييف الاكاديمي اغافانغيل كريمسكي الذى اشتهر بمعرفة الشرق والأدب العربي ، ومعاونه توفيق بن جبرائيل كزما (وهو عربي أيضاً من دمشق) .

ويعمل في خاركوف تلميذ البروفيسور كريمسكي آ . ب كوفاليفسكي . وفي طشكند البروفيسور ا . اي شميدت الذي اشتهر بمؤلفاته في ميدان تاريخ الاسلام والفقه ، وا . ا . سيمونوف مشهور بعميق معرفته لآسيا الوسطى و م . ا . ساليه مترجم « الف ليلة وليلة » الى اللغة الروسية وغيرهم .

وأسس تلاميذ الأكاديمي كراتشكوفسكي مدرستهم للدراسات العربية في تبليسي (في جورجيا) .

وقد قام المستعربون السوفياتيون بعمل كبير في دراسة اللغة العربية . يدل على ذلك العدد الكبير من الكتب المدرسية التي أصدروها في الآونة الأخيرة . ومن أروع ما وضع في هذا الحقل كتاب قواعد اللغة العربية الفصحى للبروفيسور ن . ف . يوشمانوف . ويشغل هذا الكتاب من حيث تفرده ودقته مكاناً مرموقاً بين الكتب المدرسية العربية ، وكتاب في نحو اللغة العربية الأدبية الحديثة للبروفيسور ن . ف . سيمونوف ، ومختارات في اللغة العامية السورية للبروفسور سيمونوف أيضاً .

وخليق بنا أن نَوْبَهَ بأول مختارات الادب العربي الحديث التي أصدرتها ك . ف . عوده فاسيليفا بمقدمة الاكاديمي كراتشكوفسكي ، والتي ترجمت إلى عدد من لغات الغرب . واستخدمت المختارات نفسها بصفة كتاب مدرسي في المراكز العلمية كلندن ونيويورك وبرلين وأوبسالا وهامبورغ والجزائر .

ووضع البروفيسور خ . ق . بارانوف قاموساً عربياً روسياً جمع لأول مرة مفردات اللغة العربية الأدبية الحديثة بصورة وافية . ولم يصدر في الغرب قاموس من هذا النوع إلا منذ أمد قريب جداً وهو قاموس لهانس فيهر العربي الألماني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما البروفيسور و . م . غرانده في موسكو فقد أصدر كتاباً عرض فيه مجموعة نماذج لصيغ الأفعال .

وفي المختارات العربية لليف ز . بيساريفسكي (لنينغراد) عرضت نصوص من « ألف ليلة وليلة » ، وكذلك من الكتب التاريخية .

وقد أصدر توفيق جبرائيل كزما في كييف قواعد اللغة العربية الفصحى بصورة بسيطة .

وقد صدرت في تبيليسي مجموعة منتخبات أدبية عربية ، تتضمن جزئياً بعض نصوص عربية لم تكن قد نشرت قبل ذلك ، أو نصوصاً مستقاة من المخطوطات العربية مثل « أخبار بلاد الكرج » لمكاريوس البطريرك الانطاكي ولمؤرخ مدينة ميافارقين ابن الأزرق الفارقي وغيرهما من الكتاب .

وصدر عدا ذلك أول قاموس عربي ـ جورجي ، يتضمن فيما يتضمن بعض مفردات نادرة وغير واردة في قواميس عربية أخرى .

وقد نشر مدرّس اللغة العربية في الجامعة التبيليسية ا . س . ليقياشوبلي كتاب نماذج لأشكال صيغ الأفعال في اللغة الأدبية العربية ، عرض فيها جميع صيغ تصريف الأفعال على اختلافها في اللغة العربية الفصحى . وهذه المجموعة تفوق من حيث الحجم جميع ما سبق أن نشر في هذا الموضوع من قبل .

وقد وضع المستعربون السوفياتيون في باكو وتشكند وقازان وغيرها من المدن كتباً مدرسية وأدوات تعليمية كي يوفروا للطلاب المستشرقين المواد اللازمة .

ولكن المستعربين السوفياتيين لم يقتصروا على إعداد الكتب التعليمية ، بل وجهوا الانتباه اللازم لدراسة المسائل الهامة في تاريخ بلاد العرب واللغة العربية وآثار الحضارة المادية ، وقد ترأس الأكاديمي كراتشكوفسكي في الاتحاد السوفياتي المباحث العلمية في ميدان الدراسة العربية . وخلّف نحو خمسمائة من المباحث الكبيرة والصغيرة تتناول في معظمها دراسة اللغة العربية والحضارة العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن هذه المباحث عدد من الدراسات ذات الأهمية اشتهرت في العالم ، منها مثلاً دراسة ديوان شعر أبي الفرج محمد بن احمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي الذي حققه وأعاد طبعه عضو المجمع العلمي العربي الدكتور سامي الدهان ، ويعرف الجميع دراسات الأستاذ كراتشكوفسكي للشاعرين العربيين النابغين : أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري . ولا بد لنا من أن نَوْبَهَ بنشره مقدمة رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري وترجمتها وبحثها ، وبإصدار نص كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز ، وبحثه عن العالم المصري الذي كان يدرس اللغة العربية في جامعة بطرسبرغ الشيخ محمد عياد الطنطاوي وغيرهم .

ويعرف الحضور مباحث كراتشكوفسكي هذه ، كمباحثه الكثيرة الأخرى . ولكن ترك كراتشكوفسكي بعد موته عدداً من المباحث الهامة لم تُطبَع بعد ، وما تزال محفوظة بين مخطوطاته . ويشغل بينها مكاناً مرموقاً مبحث هام يتناول المؤلفات الجغرافية العربية .

وقد أبدى الأستاذ كراتشكوفسكي الاهتمام الكبير بمؤلفات العرب الجغرافية منذ بدأ نشاطه العلمي ، ففي سنة ١٩٠٩ أثناء جولته العلمية في الشرق العربي سمع في جامعة القاهرة محاضرات ألقاها ، باللغة العربية ، في تاريخ علم الفلك العربي ، الاختصاصي الكبير في حقل علم الفلك وجغرافية العرب الرياضية ، العالم الايطالي المشهور ك . نللينو (C. Nallino) الذي استفاد المؤلف ، على نطاق واسع ، من دراسته في مبحثه هذا .

وبعد ذلك شرع كراتشكوفسكي إثر عودته إلى بطرسبرغ يلقي المحاضرات في القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ في مختلف مسائل اللغة العربية والحضارة العربية .

وقد قرأ كراتشكوفسكي خلال سنوات ١٩١٠ — ١٩١٧ في جامعة بطرسبرغ محاضرات ، شغل بينها مكاناً مرموقاً « استعراضُ المؤلفات الجغرافية مع قراءة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مختارات » . وقد جدد فيما بعد في سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ الأكاديمية تحت اسم « المؤلفات التاريخية الجغرافية العربية »

وعند قراءة هذه المحاضرات استُخدمت لمطالعة أشهر المؤلفات العربية الجغرافية التي كانت معروفة في ذلك الحين ، وكان المؤلف يقوم مع الطلاب بترجمة مختارات من النصوص العربية الى اللغة الروسية بقصد دراستها . وقد ضم العالم هذه النماذج من المؤلفات الجغرافية العربية إلى مبحثه لوصف أسلوب وطريقة عرض هذا المؤلف أو ذاك .

وقد نما هذا المبحث من المحاضرات التي ألقاها الأكاديمي كراتشكوفسكي عن مؤلفات العرب الجغرافية . وفي غضون أربعين سنة ونيّف كان هذا المبحث يكتمل ويتم تبعاً لظهور معلومات ومكتشفات جديدة ، للمؤلف نفسه في ظهورها أيادٍ بيضاء .

وكان كراتشكوفسكي ينوي أن يتم استعراض المؤلفات الجغرافية حتى أيامنا ، ولكن الموت لم يتح له تحقيق نيته ، وقد وفق الى عرض المؤلفات الجغرافية العربية حتى القرن التاسع عشر فقط .

ومن المعروف أنه قد كرس لمؤلفات العرب الجغرافية عدد كبير من الاستعراضات العامة والدراسات الخاصة ، ابتداءً من مبحث رينو (Renaud) الكلاسيكي . وخلال عقود السنين الأخيرة اكتسب هذا العمل نطاقاً واسعاً ، واغتنى جداً بفضل المباحث الرائعة التي وضعها بارتولد (Barthold) ومينورسكي (Minorsky) وكراميرس (Kramers) وروسكا (Ruska) وفيران (Ferrand) وغيرهم من كبار الاختصاصيين في جغرافية العرب التاريخية .

ولكن مبحث الأستاذ كراتشكوفسكي الذي بعد للطبع يشغل مكاناً خاصاً بين جميع هذه المباحث .

عُرف كراتشكوفسكي في عالم العلم بوصفه عالماً من المستعربين واسع الأفق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جداً . كان يهتم كل الاهتمام بوقائع إبداع العرب الثقافي ، الكبيرة منها والصغيرة ، ابتداء من روائع المتنبي وأبي العلاء المعري ، وانتهاء بالحكايات البسيطة من الناصرة ، وكان يعتقد أن ثقافة الشعب تتألف من جميع هذه العناصر ، وأن دراسة هذه الثقافة كما ينبغي ، تقتضي تحديد مكان كل ظاهرة في التطور العام وإقامة التسلسل بينها .

وكان كراتشكوفسكي يعتبر المؤلفات الجغرافية جزءاً لا يتجزأ من الآداب العربية بوجه عام ، كما كان يعتقد أن فهمها على الوجه اللازم يتطلب النظر إليها من وجهة نظر تاريخ الآداب ، والحضارة العربية بمجموعها . وقد أشار في مبحثه الى أن طريقته الأساسية هي طريقة دراسة الأدب ، وأنه لا يضع نصب عينيه مهمة إعطاء تاريخ علم الجغرافيا عند العرب أو المكتشفات الجغرافية ، وهو يوجه ذات الاهتمام للمؤلفات العلمية والشعبية التي تمت للجغرافيا بأية صلة بما في ذلك الأقاصيص والرحلات التي تحمل الطابع الأدبي أو الأسطوري الصرف .

وبالرغم من ذلك يتفق له طبعاً أن يتناول تاريخ علم الجغرافيا ومكتشفات العرب الجغرافية ، وقد أعطى في مبحثه صورة واضحة عن هذا النوع من فروع العلم عند العرب وعن دورهم البارز في تطور علم الجغرافيا .

وقد بيّن المؤلف ذلك بجلاء مستشهداً بالخوارزمي وألُغ بك والبيروني وربّان فاسكو داجاما احمد بن الماجد ، الذي اكتشف كراتشكوفسكي نفسه نسخ مؤلفاته الثلاثة في معهد الاستشراق ، وبكثيرين غيرهم من ممثلي علم الجغرافيا .

لقد عرض كراتشكوفسكي المؤلفات الجغرافية العربية عرضاً منتظماً ، ابتداء من ظهور التطورات الجغرافية الأولى عند العرب ، هذه التطورات التي نجد ما يشير اليها في الآثار القديمة وفي القرآن . واستناداً على المصادر الأولى ، وعلى كل ما توصل اليه العلم الحديث ، يتتبع المؤلف ظهور الجغرافية عند العرب ، ويتتبع صلاتها بالعلم اليوناني والهندي ، ومجرى نشوء مختلف فروع العلم الجغرافي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(الجغرافيا الوصفية والرحلات والخطط والجغرافية البحرية والجغرافية العامة والجغرافية الاقليمية الخ) ومراكزها ومدارسها العلمية واتجاهاتها ومختلف ألوانها .

هذا ويعطي المؤلف وصفاً لمعظم المؤلفين الأساسيين والنموذجيين من ممثلي جميع ألوان التآليف الجغرافية العربية واتجاهاتها ، مع تبيان صلاتهم بعضهم ببعض وتأثيرهم بعضهم على بعض . وبنتيجة التحليل المفصّل لعدد كبير من المؤلفين يزيد على مائتين وستين يقرر كراتشكوفسكي مبلغ صحة المعلومات التي يذكرها المؤلفون وأهميتها باعتبارها مصادر لدراسة الجغرافية التاريخية للبلدان التي تحدثوا عنها .

ويتضمن المبحث إلى جانب ذلك قائمة وافية تقريباً بالكتب المتعلقة بالموضوع ، ابتداءً من القرون الوسطى حتى أيامنا ، مع انتقاد النصوص المنشورة والدراسات الخاصة المكرسة لهذا الأمر . ويحمل هذا الطابع الفصلان (١٦ و ٣١) المكرسان للمؤلفات الجغرافية الفارسية والتركية التي جرى عرضها بمقدار صلاتها بالتقاليد العربية .

إن هذا المبحث الذي أتمه كراتشكوفسكي قبيل انتهاء نشاطه العلمي ، والذي يضم هذه الوفرة من المواد ، سواء فيما يتعلق بالمصادر الأولى أو الدراسات العلمية الموضوعة عنها ، لا يوجد في جميع الدراسات العربية نظير له ، ونحن نأمل أن يصبح نموذجاً لمباحث كثيرة في نواحي تاريخ الأدب العربي الأخرى .

إن الاستنتاجات الأساسية التي تستخلص من دراسة المبحث بانتباه هي التالية :

الأول : لقد دقق المؤلف كما لم يوفق أحد من قبل وأثبت بوضوح استناداً إلى كمية كبيرة من المستندات ، الأمر الذي هو معروف للجميع ، مبلغ أهمية الحضارة العربية في التاريخ العالمي وبرهن أن العلم الجغرافي العربي يشغل في هذا الميدان مكاناً من أمكنة الصدارة .

الثاني — لقد دقق وبرهن المؤلف بوضوح أنه قد ساهم مساهمة نشيطة في إنشاء هذه الحضارة ، عدا العرب ، ممثلو العالم الثقافي في آسيا الوسطى والقفقاس وايران

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتركية وعدد من البلدان الأخرى التي أنجبت عدداً من موصلي تقاليد العلم الجغرافي العربي المجيدة .

والاستنتاج الثالث — هو استنتاج منهاجي ، فدراسة جميع آثار التآليف الجغرافية العربية الأساسية دراسة مفصلة تظهر أن الباحث المدقق يستطيع أن يجد حتى في الوصف الخيالي لمختلف البلدان والمدن وحتى فيما يسمى بالعجائب ، ما قد يطابق الحقيقة لهذا الحد أو ذاك ويمكن أن يكون ذا نفع في دراسة مسائل الجغرافية التاريخية ومسائل علم الآثار وعلم عادات الشعوب وغيرها من العلوم .

ولكن أهمية مبحث كراتشكوفسكي تتعدى ذلك ، فقد طُرقت فيه قضايا كثيرة تتطلب من علمنا الحل العاجل ، وأعتقد أن صدوره سيكون حافزاً لظهور مباحث عديدة تجعل من مبحث كراتشكوفسكي نقطة الانطلاق . وعما قريب ستصدر أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي مبحث كراتشكوفسكي هذا ، فيجد الباحثون الامكانية التامة لتقويم أهميته للعلم .

ومن الآثار الأخرى التي تركها الأكاديمي كراتشكوفسكي والتي تجذب الاهتمام الكبير ترجمة روسية موجودة بين مخطوطاته لمؤلف عبد الله بن المعتز : « كتاب البديع » أحد أكابر المصادر لدراسة تاريخ علم البلاغة العربي .

وحري بنا أن نذكر أيضاً ترجمة كراتشكوفسكي للقرآن وأهميتها من وجهة نظر العلم لفهم كتاب المسلمين المقدس .

لقد وضع معاونو كراتشكوفسكي وتلاميذه وكذلك المستعربون السوفياتيون الآخرون ، عدداً كبيراً من المباحث والمقالات في دراسة تاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وتاريخ اللهجات الدارجة ومختلف الألفاظ العربية .

ولقد وجد تاريخ الاسلام والخلافة في بلادنا باحثين جدداً تابعوا ذلك العمل الذي قام به بنجاح كبير في حينه مؤرخ الشرق الكبير الأستاذ ف . ف . بارتولد . إنّ مؤرخنا م . ن . تيخوميروف قد أعار انتباهاً كبيراً الى المصادر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشرقية ، ومنها العربية ، في مؤلفه « مصادر تاريخ الاتحاد السوفياتي » ، وقد صدر منذ أمد قريب مبحث للبروفيسور ن . ا . سميونوف عنوانه : « حول الأبحاث المتعلقة بالإسلام في الاتحاد السوفياتي » ، ويعطينا هذا المبحث صورة واضحة عن العمل الذي تم عندنا في هذا الحقل ، من العصور السالفة إلى أيامنا .

وقد كرّست البروفيسور ن . ف . بيغوليافسكايا جملة من المباحث الهامة لتاريخ العرب مباشرة قبل ظهور الاسلام ، مستندة على المصادر السريانية . وتتناول مباحث البروفيسور ي . ا . بيليايف تاريخ صدر الاسلام ومسائل علاقات الحنيفية ومسيلمة من اليمامة بالاسلام .

وقد تناول البروفيسور يا كوبوفسكي والبروفيسور شميدت وعدد آخر من العلماء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في عهد الخلافة ، وأعاروا انتباهاً خاصاً لكتاب « الخراج » لأبي يوسف يعقوب ، وهو أحد المصادر الكبرى لدراسة التاريخ الاجتماعي للبلاد العربية في القرون الوسطى .

ويجدر بنا أن نشير إلى مباحث علمائنا المتعلقة بالمصادر العربية المتصلة بتاريخ أوربا الشرقية وجنوب روسيا والقفقاس وآسيا الوسطى .

وقد تناول الاكاديمي آ . غورديفسكي في مؤلفه الكبير « تاريخ الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى » (موسكو ١٩٤١) المصادر العربية بالتفصيل ، ولا سيما معلومات السائح العربي المشهور ابن بطوطة .

إنّ لنشر المواد المتعلقة بتاريخ التركمانيين وتركمانستان بما فيها المواد العربية ، مرفقة بمقالة ف . اي . بيليايف عن تطور تاريخ علم الجغرافية العربية ، أهميةً كبرى ، لا من وجهة نظر دراسة تاريخ تركمانستان وحسب ، بل كذلك من وجهة النظر المنهاجية .

وقد أصدر كوفاليفسكي ترجمة جديدة لرسالة أحمد بن فضلان عن سياحته إلى بلغار الفولغا . وقد وضع الترجمة على أساس مخطوطة مشهد المشهورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويجري الآن إعداد طبعة جديدة تضاف اليها الشروح المطولة والدراسة العامقة ، وسيكون صدورها مفيداً جداً لبحث هـذا الأثر النفيس من التأليفات الجغرافية العربية .

لقد نشر تلميذ ف . ف . بارتولد اي . اي . اوميا كوف جملة من المقالات القيمة عن خارطة العالم لمحمود الكاشغاري وعن الخزر والأتراك ، على أساس معلومات الجغرافي إسحاق بن الحسين وغيره من المؤلفين .

وللمباحث التي وضعها البروفيسور آ . يو . ياكوبوفسكي و ب . ن . زاخودير عن الروس على أساس معلومات المصادر العربية أثر ظاهر في هذا الحقل .

وقد وجه علماؤنا انتباهاً كبيراً أيضاً لتاريخ البلدان العربيـة الحديث ، فقد خُصص لبلدان الشرق العربية مكان هام في المؤلف الكبير المطبوع في موسكو سنة ١٩٥٣ بعنوان « التاريخ الحديث لبلدان الشرق الأجنبي » .

وعدا ذلك فقد تناول البروفيسور ب . ف . لوتسكي و م . ف . تشوراقوف وغيرهما من العلماء جملة من المباحث في التاريخ الحديث لمصر وسورية ولبنان وأقطار الشرق العربي الأخرى .

وقد نشرت خ . اي . كيليبيرغ مبحثاً عن ثورة عرابي باشا في مصر . ولها أيضاً ترجمة بمقدمة خ . ف بارانوف لمؤلف أمين سعيد المعروف : « الثورة العربية الكبرى » .

ونشرت ل . ن . فاطوطينا مبحثاً بعنوان « مصر المعاصرة » ، وجملة من المقالات الأخرى تناولت فيها تاريخ البلدان العربية المعاصر .

ويوجه المستعربون الشباب في موسكو ولينغراد وتبليسي وغيرها من مراكز بلادنا انتباهاً خاصاً لتاريخ بلدان الشرق العربي المعاصر .

وتدرس دراسة خاصة عندنا المصادر العربية الموضوعة في شمال القفقاس ، وفي الآونة الأخيرة قام اي . يو . كراتشقوفسكي و آ . ن . غينكو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبارابانوف و ت . مارغويلاشويلي وغيرهم من علماء بلادنا بنشر عدد كبير من هذه الآثار وترجمته وبحثه . وقد وجه العلماء في بلادنا مثل هذا الانتباه للنواحي التاريخية المساعدة . ويجدر بنا أن نشير بهذا الصدد إلى جملة من المباحث الكبيرة وإلى العدد الكبير من المقالات التي كتبهاز وجة الأكاديمي اي . كراتشقوفسكي البروفيسور فيرا آليكساندروفنا كراتشقوفسكي في حقل علم الخطوط والكتابات العربية وكذلك في حقل الفن الاسلامي ، فابتدأ من سنة ١٩٤٧ بإدارتها نشر مجلة خاصة « خطوط الشرق وكتابته » . تنشر فيها كثير من الكتابات والنقوش العربية التي عثر عليها في شتى أنحاء الاتحاد السوفياتي .

وفي الآونة الأخيرة نشر ر . ر . فاسمير وآ . آ . بيكوف وغيرهما من العلماء كثيراً من النقود عليها كتابات عربية .

وقد اكتشفت في دمانيس (قرب تبيليسي) نقود عليها نقش عربي ، مكّن من اكتشاف دار جديدة لضرب السكة في دمانيس ، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد كانت مجهولة سابقاً .

وقد نشر ف . اي . بيليايف مقالاً كبير الأهمية بصدد مجموعة أوراق البردى العربية في الاتحاد السوفياتي ، التي تجد بينها وثائق تعود الى القرن الأول الهجري .

ومن الأحداث الهامة في تاريخ الدراسات العربية مبحث أصدره في طشقند البروفيسور آ . آ . سيميونوف ، ووصف فيه مجموعة المخطوطات الشرقية المحفوظة في أكاديمية علوم جمهورية ازبيكيستان الاشتراكية السوفياتية (وقد صدر المجلد الأول سنة ١٩٥٣ وصدر المجلد الثاني سنة ١٩٥٤) .

وقد وضع العلماء السوفياتيون جملة من المباحث القيمة في تاريخ العلوم ، وحسبنا أن نشير إلى المجموعة المكرسة لمفكر من كبار المفكرين في القرون الوسطى : أبي الريحان البيروني ، والى ترجمة مبحثه المشهور « كتاب الجماهر في معرفة الجواهر » ، فقد ترجمه إلى اللغة الروسية آ . م . بيلينيتسكي ولينين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخليق بنا أن نشير إلى أول ترجمة روسية لسفر وضعه مفكر آخر من كبار مفكري الشرق هو أبو علي بن سينا : « القانون في الطب » ، وتصدرها الآن أكاديمية العلوم في ازبيكيستان باشتراك المترجم م . آ . ساليه الذي اشتهر بترجمته « ألف ليلة وليلة » إلى اللغة الروسية .

تشغل بلادنا في حقل دراسة الأدب العربي مركزاً مرموقاً ، وذلك بفضل المباحث التي وضعها البروفيسور اي . كراتشقوفسكي . وفي سنة ١٩٤٩ أصدر البروفيسور اي . فينيكوف كتاباً بعنوان « ايغناطي يوليانوفتش كراتشقوفسكي » ذكر فيه جميع مباحث هذا العالم ؛ ولذلك لن أطيل الكلام عن هذه المباحث ، وحسبي أن أقول إن الأستاذ كراتشقوفسكي هو الأول بين العلماء الغربيين الذي بدأ دراسة الآداب العربية الحديثة بصورة منتظمة .

ولقد كتب أي . كراتشقوفسكي سنة ١٩٣٣ في مقال من مقالاته : « ان الماضي المجيد قد حجب الغرب عن أنظار الأوربيين ، فهم يقرنون باسمهم دون تردد القرآن وألف ليلة وليلة ، ولكن في ما يخص الحاضر تنتصب جملة من الصور الشاحبة الخيالية الغامضة ... »

« ووراء هذه الصور تُحجَب تماماً حقيقةُ الواقع . فلا يزال مجهولاً وجود صحافة دورية غزيرة تصدر في أربع أو حتى في خمس من قارات العالم ، ووجود عدد من الأحزاب الاجتماعية والسياسية تختلف اتجاهاتها الفكرية كل الاختلاف . وتبقى البلدان العربية حتى في الوقت الحاضر عاملاً اقتصادياً كبيراً ، حلقة من الحلقات الضرورية في التداول العالمي مع شواطئ البحر الأبيض المتوسط . والعرب أنفسهم بالمعنى البشري العام أرقى شعوب الشرق الأدنى ثقافة وزعيم العالم الاسلامي كما كانوا زعيمه في القرون الوسطى . وهم في الوقت نفسه طليعة التأثير الأوربي . ولقد تنشأ عن هذا اللقاء بين الغرب والشرق تشابكات خارقة . ومن جميع وجوه الحضارة الراهنة يمكننا أن نجد أوضح موضوع للدراسة ، الأدب الذي يحدد تاريخ انبعاثه ، بيسر كبير ، بأوائل القرن الثامن عشر » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد بذل اي . كراتشقوفسكي نفسه جهوداً كبيرة لبحث هذا الأدب الذي كان يتطور خلال عقود السنوات الأخيرة ، في الاتجاه الذي تحدث عنه الأستاذ المرحوم منذ أوائل قرننا .

وقد وجه مثل هذا الانتباه الكبير لدراسة مسائل الأدب العربي : حديثه وقديمه ، عالمٌ آخر من علماء بلادنا ، هو الأكاديمي كريمسكي الذي وضع كتاباً في تاريخ الأدب العربي الحديث ، وقد أخرت الحرب صدوره .

وقد وجه عدد آخر من علماء بلادنا انتباهاً كبيراً ، وأظهروا اهتماماً بالأدب القديم ، والأدب العربي في الأندلس ، وكذلك بالأدب العربي في شمال القفقاس ، والأدب العربي المعاصر .

ويستحق الذكر بهذا الصدد المبحث الذي وضعه البروفيسور برتيلس عن الشعر العربي للفضولي ، وكذلك مبحث د . ف . سيمونوف المكرس لتحليل الرواية الحديثة للكاتب المصري إبراهيم المازني والمباحث الأخرى .

ويوجه اللغويون السوفياتيون انتباهاً خاصاً للغة العربية وبنائها وتاريخها وتطورها .

ولا بد من إشارة خاصة إلى مباحث المرحوم ن . ف . يوشمانوف الذي كان كبعض العلماء العرب ، يعتبر أن الجذور العربية كانت في الأصل تتركب في معظمها من حرفين ، أما الحرف الثالث أو الرابع في الأصول الثلاثية والرباعية فهو عنصر زائد في اشتقاقه ، وكان يُستعمَل للإشارة الى نوع الأشياء كحرف الراء للإشارة إلى أقسام الجسد (مثلاً في الكلمات ظهر وصدر وشَعر وغيرها) أو كحرف الباء للإشارة إلى نوع الحيوانات كما في الكلمات : (ذئب وعقرب وثعلب وأرنب الخ) .

وقد كرس آ . س . ليفياشوبلي ، وهو لغوي من تبيليسي ، جملة من المباحث تناول فيها قضايا بناء الجذور العربية ، وهو يعتبر كذلك أن أغلب الكلمات ترجع في اشتقاقها إلى جذور ذات حرفين ، وأن الكلمات العربية مركبة من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جذر ذي حرفين ومن ثالث إضافي ينشأ على الصعيد اللفظي ، أو لتحديد الأصول أو هو باقية من كلمة أخرى مستقلة .

وقد اتفق المستعربون في بلادنا في بحثهم هذا الموضوع مع ما توصل إليه بعض علماء العرب الذين يثبتون أيضاً فضل الثنائية على المعجمية وتفوقها على نظرية « الثلاثية » (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ص ٧٧٠ ـ ٨٨ ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) .

وقد وجه اللغويان س . س . ميزل و ف . ب ستارينين (موسكو) بحثهما إلى قضايا قلب الحروف أي تأخيرها وتقديمها في العربية ودورها في تكوين الأصول .

وقد أعد العالم الليننغرادي المرحوم يا . س . فيلينتشيق قاموساً عربياً روسياً كبيراً للهجة سورية ، يشتمل على مواد وافية من المخطوطات والمطبوعات .

وقد توصل العلماء السوفياتيون بنتيجة دراستهم للهجات العربية إلى اكتشاف لهجات عربية جديدة وبحثها في آسيا الوسطى لم تكن معروفة سابقاً .

ويعيش في الوقت الحاضر في مقاطعتي بخارى وقاشقاداريا في آسيا الوسطى أكثر من خمسة آلاف عربي يتكلمون العربية . ولا نستطيع أن نجزم بما إذا كان هؤلاء العرب أحفاداً لأولئك العرب الذين تغلغلوا في آسيا الوسطى تحت ألوية الإسلام في عصر الفتوحات الكبرى ، أو أنهم قد استوطنوا هذه المناطق في القرن الرابع عشر بعد أن نفاهم تيمورلنك من سورية والعراق إلى هذه الأقطار . ولكن مهما يكن من أمر فان كون بعض عرب آسيا الوسطى ظلوا محتفظين بلغتهم العربية طيلة هذه القرون منذ نزوحهم إلى هذه البلاد ، هو واقع ذو أهمية كبيرة جداً .

وقد دلت البحوث على أن اللغة العربية المستعملة في آسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كالمالطية ، وتشغل مكاناً خاصاً بين اللهجات الأخرى ، على الرغم من أنها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الأخرى بلهجات البدو في أواسط شبه الجزيرة العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ثبت عدا ذلك بنتائج الدراسات أنه توجد في آسيا الوسطى في الوقت الحاضر على الأقل لهجتان مستقلتان تختلف إحداهما عن الأخرى اختلافاً بيناً بحيث لا يفهم عرب بخارى وقاشقادار يا بعضهم بعضاً .

وقد وقعنا في مجرى دراستنا للعربية في آسيا الوسطى على شيء أعجبنا غاية الإعجاب ، وهو أنّا وجدنا اسم بطلة القصيدة الجورجية المعروفة التي وضعها الشاعر الجورجي الكبير شوتا روستاويلي محفوظاً بين القبائل العربية في آسيا الوسطى ، فقد وضع شوتا روستاويلي في القرن الثاني عشر قصيدة كبيرة في نحو من ستة آلاف وستمائة وثمانين بيتاً أطلق عليها اسم « ذوبردة النمر » أي « فارس في بردة النمر » ، وقد أطلق الشاعر على إحدى بطلات قصيدته اسم « نيستان داريجان » ، وكنا حتى الآونة الأخيرة لا نعرف من أين أخذ الشاعر هذا الاسم ، وكان العلماء يفترضون ان الاسم فارسي المنشأ ، ولكن لم يكن معروفاً استعماله في النصوص الفارسية ، وإذا بنا قد عثرنا على هذا الاسم في الحكايات العربية بشكل « نسطارجهان » ، وما من شك في الوقت الحاضر في أن الاسم فارسي ومعناه « لا نظير لها في الدنيا » أي « الفادة التي لا نظير لها في الدنيا بجمالها » ، وقد وجدوا بعد ذلك هذا الاسم في التأليف لفخر الدين البنداري الاصبهاني المسمى « بزبدة النصرة ونخبة العصرة » ، ووجدوه بعد ذلك أيضاً في شعر نظامي كنجوى وفي بعض النصوص الأخرى ، ولكن قد تلاقت بطلة القصيدة الجورجية باسمها لأول مرة بين عرب آسيا الوسطى .

يرى كراتشكوفسكي في اكتشاف لغة العرب في آسيا الوسطى وبحثها أساساً لتعديل النظر المقرر حول اللهجات العربية تعديلاً محسوساً ، وذلك نظراً لحصول مصدر جديد لدراسة اللغات السامية لم يكن معروفاً في السابق .

وتنشر عما قريب نصوص كثيرة ومواد أخرى سجلت بين عرب آسيا الوسطى ، وكذلك نتائج بحوث هذه اللغة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولذلك نأمل أن نساهم ، ولو بنصيب متواضع ، في دراسة لغة العرب وحضارتهم الجليلة .

ولم يقتصر المستعربون في بلادنا على البحوث العلمية النظرية بل أبدوا اهتماماً كبيراً لترجمة نخبة من الآثار الأدبية الفنية .

فقد ترجمت إلى الروسية والاكرانية والجورجية والازبيكية وغيرها من اللغات الأخرى - عدا القرآن وألف ليلة وليلة - كليلة ودمنة وكتاب بلوهر وبوداسف وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ وطوق الحمامة لابن حزم ولامية العرب للشنفرى ومعلقات امرئ القيس وزهير ولبيد والنابغة الذبياني وغيرهم ، وترجم شعر الأخطل والفرزدق وجرير الذي كرس له حضرة الرئيس خليل مردم بك منذ أمد قريب مقالة شيقة ، كما ترجم شعر المتنبي ، وأبي العلاء المعري ، وترجمت كذلك نخبة نماذج الآداب العربية من مؤلفات جرجي زيدان وعبد الرحمن الكواكبي وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وعمر الفاخوري ومحمود تيمور وغيرهم من كتاب الحاضر والماضي .

ولقد قدمنا صورة مختصرة جداً عن عمل العلماء السوفياتيين في حقل دراسة لغة العرب وحضارتهم ، وان كان المستعربون في بلادنا أقل عدداً من الممثلين عن الفروع الأخرى لدراسة الشرق ، غير أنّ الأعمال التي قاموا بها ، عظيمة القدر ، ولم تغب عن أذهانهم ، لدى دراستهم الآثار العربية القديمة ، أهمية العرب في الحضارة الحديثة .

ونحن نتابع تقدمكم بعطف كبير ، ونتمنى لكم بحرارة قلوبنا النجاح الأكبر دائماً في عملكم الشريف لصالح علمكم وآدابكم وحضارتكم الجليلة .

اقبلوا منا فائق الاحترام ودمتم مناراً للأدب والعلوم بين أبناء العرب .

والسلام عليكم .

جيورجي نسيرنيلي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net